الانزياح والتضخيم في سورة آل عمران

الباحث. مسعود باوان پوري

طالب الدكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة الشهيد مدني أذربيجان

الأستاذ المشارك. أمير مقدم متقي (كاتب مسئول)

قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الشهيد مدني أذربيجان

الأستاذ المشارك. عباس عرب

قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة فردوسي بمشهد

الباحثة. حديثة متولي

طالبة الدكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الاسلامية واحدة گرمسار

Displacement and Magnification in Sura of Al Umran

Researcher. Masood Bawan Boori\ A Ph.D Students in the Department of Arabic/ University of Al-Shaheedmadani/ Azerbaijan Iran

Ass.Prof. Ameer Mukaddam Mutaki\ Department of Arabic/ University of Al-Shaheedmadani/ Azerbaijan / Iran

Ass.Prof. Researcher. Abbas Arab\ Department of Arabic/ University of Al-Firdawsi – Mashad/ Researcher. Iran

Researcher. Hadeetha Mitwali\ A Ph.D Students in the Department of Arabic/ The Islamic University of Azad/ Karamsar

danad6206@gmail.com

Abstract

Recantation is one of the important elements that forms a base for the stylistic and linguistic issues. Researchers of form have considered the literary language as a recantation of the standard language and studied the style according to this definition. The researchers of this study attempt to examine Sura Al Umran being a recantation of the Quranic tradition depending on the descriptive-analytic method.

Key words: Holy Quran, Contemporary criticism, deviation from the rule, displacement, magnification and Al Umran.

الملخص:

العدول واحد من مكتشفات الشكلانيين المهمة واليوم يشكل أساس القضايا الأسلوبية واللسانية. والشكلانيون كانوا يعرّفون اللغة الأدبية عدولا عن لغة المعيار ويدرسون الأسلوب أيضا وفقا لذلك التعريف. واتخذوا خطوة هامة في مجال الانحراف عن لغة المعيار في بدايات القرن العشرين الميلادي وخلقوا مصطلحي الانزياح والتضخيم. القرآن الكريم المعجزة الخالدة لنبي الاسلام وإن ليس نصا أدبيا ولكنه يعتبر معجزة مذهلة من حيث اللغوي واللساني والبلاغي والذي بحاجة إلى استكشاف ودقة فريدة وخاصة. من منظار الوجهات النظر الجديدة تعتبر دراسة النصوص السابقة واحدة من الخطوات الأساسية في طريق الوصول إلى المكتشفات الجديدة. محررو المقالة الحاضرة يحاولون أن يتطرقوا إلى دراسة سورة آل عمران من حيث التجاوز عن القاعدة القرآنية بالاستفادة من الأسلوب التوصيفي–التحليلي خلال التعريف الموجز من الانحراف والانزياح والتضخيم.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، النقد المعاصر، التجاوز عن القاعدة، الانزياح، التضخيم وآل عمران.

1-المقدمة

1-1-بيان مسألة البحث

القرآن كتاب ديني واعتقادي لجميع مسلمي العالم. هذا كتاب الحكمة والهداية يقصد تعالي البشر من الأرض إلى السماء ونزل أساسا ليخلص الانسان من هاوية الشهوات الحيوانية الرديئة ويرفعه إلى قمة السماوات والرحلات السماوية. والكتاب الذي امتزج بحياتهم بعد مضيّ ألف وأربعمئة سنة وكأنه اختلط بوجودهم وحياتهم تماما. ولهذا قراءة وفهم وتعليم هذا الكتاب العظيم بمنزلة عيش وحياتنا الجديدة مع القرآن. القرآن الكريم إضافة إلى علوه من كل قصة وأدب وفن، كتاب بشري. كلمة الله لها جمالية خاصة بها. في الواقع يعتبر التجميل أمرا عارضيا في علم البديع وهكذا يعرّف ((العلم الذي يعرف به ألوان تجميل الكلام بعد رعاية مطابقته مع مقتضاء الحال والدلالة الواضحة)) (قزويني، بي تا: 334). وجدير بالذكر أنّ هذه الصور التجميلية والفنية التي استعملت في القرآن الكريم، ليست صورة ظاهرية وسطحية بل هي صورة فنية خلقت من تعامل عناصرها وانسجام السياق بالمحتوى والفكر بالشعور والأغراض الفنية بالأغراض الدينية. هذا هو الذي أدى إلى أن التصوير القرآني لهذه الصفة المتمايزة في البيان صار تصويرا مؤثرا (راغب، 1387:86). وقد إهتمّ المفسرون والعلماء المسلمون بالتحقيق حول الإعجاز القرآني منذ القرون الأولى الاسلامية وذكروا وجوها متعددة، منها مع المصاديق القرآنية وشواهدها نذكر منها: ((إعجاز القرآن)) للباقلاني و((دلائل الإعجاز)) للجرجاني و((النكت في إعجاز القرآن)) لأبي الحسن بن عيسى الرمّاني و((المغني)) لقاضي عبدالجبار و((بيان إعجاز القرآن)) لأبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي و((إعجاز القرآن)) للرافعي و((التصوير الفني في القرآن)) للسيد قطب و.... طبعا لا يجوز إعتبار لغة القرآن، لغة أدبية لأن مستوى مفرداته وبلاغته يكون في أعلى الدرجات اللغوية والبلاغية بحيث لا يعادله شيء من اللغات الحية والعلمية.

الميزة الأصلية للغة الأدبية التي تجعلها متمايزة عن الأنواع الأخرى من اللغات، هي أنّ اللغة الأدبية تغيّر اللغة العادية بطرق مختلفة، بحيث صارت قوية ومدمجة فيها التحريف والايجاز إلى حد يمكن أن تصير معكوسة، وبالتالي تجمل لغة الأدب في غرابتها وفجأة صار عالم الأدب عندنا عالما غير مأنوس ويبتعد عن شكله العادي ويعبر عنه بالعدول والانزياح والاغتراب. القرآن الكريم في أعلى حد البلاغة والفصاحة وهو يتمتع بأحسن نوع من القاعدة الخارقة والانزياح ونحن في هذه المقالة نحاول أن نعرض مظهرا آخر عظمة القرآن الكريم اللانهاية بالاستفادة من النقد المعاصر ودراسة نماذج من سورة آل عمران.

الأصول النظرية للبحث

العدول من الأصول والظواهر الجديدة في النقد الأدبي والذي حظي باهتمام كبير في البحوث الصياغية واللسانية المعاصرة. وهذا من أهم مكتشفات الشكلانيين واليوم يشكل أساس المباحث الأسلوبية. هم كانوا يعرّفون اللغة الأدبية ((عدولا عن لغة المعيار)) ويدرسون الأسلوب أيضا على هذا الأساس (شميسا، 1381: 157). هذه العملية تعادل ((الانزياح)) و((العدول)) في الأدب العربي ويعبرون عنها بتعابير مختلفة مثل: ((الجسارة اللغوية والتغريب والعدول اللغوي والابداع والعدول والتوسيع)) (راجع بن ذريل 25:1998؛ ربابعه، 146-145:1995). الانزياح يعني ((خروج التعبير عن اللغة الأصلية أو عما استعماله عادي من حيث الرؤية واللغوية والصياغية والتركيب)) (اليافي، 92:1995). الانثروبولوجيون إهتموا إلى هذا الموضوع كثيرا واعتبروه عدولا عن القاعدة)) (فضل، 1998: 154). ((العدول عن القاعدة في الحقل اللساني، يشير إلى أي إستعمال لغوي من تطبيق دلالي حتى صياغ الجملة التي لا تراعى فيه القواعد العادية للغة)) (داد، 1383: 540).

الشكلية الروسية واحدة من المدارس النقد الأدبي والتي نشأت مؤثرة باللسانية. والشخصيات المشهورة لهذا المنهج، كانت عددا من اللغويين الروسي الشباب مثل فيكتور شكلوفسكي ورومان ياكوبسون وأسسوا لجنتين باسم ((جمعية بحوث اللغة الشعرية)) في مدينة بطرسبرج وجمعية ((لغويو مسكو)) في العقد الثاني من القرن العشرين لينشئوا علما مستقلا لدراسة الأدب وليعرفوا الميزات التي تتمايز نصا أدبيا عن بقية النصوص (شميسا، 1381: 147) ولهذا ((يعرف النقد والاتجاه الشكلي مبدئيا باسم الشكلية الروسية)) (عباسلو، 1391: 95) والذي ظهر في العقد الثاني من قرن العشرين (فضيلت، 1390: 194) ((اتخذ فيكتور شكلوفسكي أول خطوة في هذا

المجال سنة 1914 م وبنشر ((قيامة الألفاظ)))) (علويمقدم، 1377: 8). يعتقد الشكلانيون بأن السياق والمحتوى لا ينفصلان وهما كشيء واحد، بعبارة أخرى السياق هو المحتوى والمحتوى هو السياق. ولهذا كان الشكلانيون يؤكدون بأن الاهتمام إلى الشكل لا يغفلنا عن المحتوى لأنهما لا يقبلان الفصل (المصدر نفسه: 48– 43).

في هذا الصدد كل قسم من الأثر الأدبي من الفونيمة إلى النص يعرف ويدرس بالنسبة إلى بقية المجالات ولهذا، الجانب الأكثر أهمية من البحث، هو معرفة سياق النص (فضيلت، 1390: 198). لننتبه بأن غرض الشكلانيين من الشكل ليس القالب الظاهري للآثار الأدبية، بل يعتقدون بأن شكل كل أثر أدبي عبارة عن عنصر يولد سياقا منسجما في الإتصال مع العناصر الأخرى، شريطة أن يؤدي كل عنصر مهمته وواجبه في كل تركيب ذلك الأثر، إذا يعتبر كل أجزاء النص مثل صور الخيال والوزن العروضي والقافية والمقاطع والصامتات والمصوتات وموسيقي القراءة والصناعات البديعية المختلفة و.... جزءا من الصورة والشكل (شايگانفر، 1380: 43). واحدة من الموضوعات المهمة التي طرحها الشكلانيون عن شكل التعبير الأدبي، هي مفهوم الانزياح. طرح شكلوفسكي هذا المفهوم لأول مرة واستعمل ostranneja اللفظ الروسي. وبعده ذكر ياكوبسن وتينيانوف هذا المفهوم في مواضع كالتغريب (احمدي، 1391: 47). يبعد موضوع الانزياح الذهن عن ((الرتابة)). ((غرض الفن هو إنتقال حس الأشياء عندما يُدرك ولا عندما يُفهم، والفن يزيل الرتابة عن الاشياء بايجاد أشكال غريبة وباضافة الصعوبة وزمان الإدراك)) (مكاريک، 1384: 13). وكما يقول هاورانك– havranek، الشكلي التشيكي ((وكيفية التعبير أن يلفت الإنتباه وأن يكون غير عادي وأن يكون غير آلي مقابل كون اللغة آلية)) (صفوي، 1373: 36). والنتيجة المهمة لنظرية الانزياح، أن الفن الخالص والأدب، يسدّ الطريق المخاطب ولا يجعل المفاهيم في متناول اليد خلاف بعض النظريات. لأنّ ((الانزياح يسند أشياء إلى شيء آخر لا يمكن من حيث العقلي)) (مرتاض، 2005: 78).

التضخيم (foregrounding) مخالف للآلية وفي الواقع يخالف مع أسلوب معين ويساعد الأدب أن يعبر عن معنى جديد بغموض وتعقيد أكثر، بينما ليست للغة المعيار هذه القابلية. ((لا شك بأن قيود الشعر الحر الذي تخلص عن قيد التساوي ووزن الشطور ورعاية القافية في مواضع معينة، ولكنه في المقارنة مع الأشعار التقليدية قليل جدا ومن الطبيعي هذا يجعل عمل الشاعر أسهل في الاستفادة من لغة كاملة وأيضا يجعل اللغة خاضعة لطلبات الشاعر، بينما مقارنة الاشعار التقليدية مع شعر الحر تظهر نتيجة معكوسة (پورنامداريان، 1381: 162). يعتقد ياكوبسن بأن التجميل يحصل عن طريق التضخيم (صفوي، 1383: 45).

التجديد والمحاولة على الحصول على حرية الرأي وعرض التيارات الفكرية للشاعر من عوامل إنتشار العدول في أعمال شعراء العقود الأخيرة. ((يعتقد الشكلانيون أنه من بين الآلية والتضخيم، التضخيم هو عامل ايجاد لغة الأدب. وهم يعتقدون بأن التضخيم على شكلين: الاول أن يعدل بالنسبة إلى القواعد الحاكمة على اللغة الآلية والثاني: أن تضاف قواعد على القواعد الحاكمة على اللغة الآلية. من هذا المنطلق سيظهر التضخيم عن طريق العدول وزيادة القاعدة (المصدر نفسه:40)

1–3–خلفية البحث

تمت بحوث قيمة في مجال العدول وبلغات مختلفة حتى الان ولكن لا تتيحنا الفرصة أن نذكر كلها وفي التالي نشير إلى عدد لا بأس به من تلك البحوث: حميد رضا مشايخي وسيدة زينب خدادي (1391) في مقالة ((دراسة العدول في بعض أشعار نزار قباني)) في فصلية نقد الأدب المعاصر العربي بيزد، السنة الثانية، الرقم الثاني/ حشمت الله زارعي كفايت وناصر محسني نيا (1392) في مقالة ((الشكلية والانزياح في شعر ابوالقاسم الشابي)) في فصلية نقد الأدب المعاصر العربي بيزد، السنة الثالثة، الرقم السابع المتتالي/علي نظري ويونس وليئي (1392) في مقالة ((ظاهرة الانزياح في شعر أدونيس)) في مجلة دراسات الأدب المعاصر، السنة الخامسة، الرقم 17 /محمد نبي احمدي وعبد الصاحب نوروزي (1392) في مقالة ((مظاهر التجاوز عن القاعدة في سورة مريم (س))، مجلة البحوث الأدبية –القرآنية بأراك،السنة الأولى،الرقم الثالث/ عباس گنجعلي وآزاده قادري ومحسن سيفي (1392) في مقالة ((التجاوز عن القاعدة في الصحيفة السجادية)) (التضخيم في المستوى الصوتي واللفظي والنحوي والدلالي) مجلة بحوث القرآن والحديث، السنة السادسة والاربعين، الرقم الثاني/ هومن ناظميان (1393) في مقالة ((الانزياح والتضخيم في سورة الواقعة))، مجلة

اللغة وأدب العربي مشهد، الرقم العاشر. ولكن بحد الان لم نجد مقالة تطرقت إلى سورة آل عمران من هذا المنظر وهذه المقالة تسطيع أن تكون جديدة وحديثة في نوعها.

1-4-أسئلة البحث

والمقالة الحاضرة تهدف إلى الإجابة عن الأسئلة التالية

-كيف ظهر الانزياح في سورة آل عمران؟

-أي من أداة التجميل استخدمت في هذه المقالة كثيرا؟

1-5-منهجية البحث

استفاد البحث الحاضر من أسلوب مكتبي واسنادي عن طريق توصيفي-تحليلي؛ بحيث تدرس مصادر العدول أولا وبهذا الاتجاه يتطرق إلى تحليل الانزياح في سورة آل عمران.

2-المناقشة الأصلية للبحث

سورة آل عمران تشمل على 200 آية وقد نزلت في مدينة النبي (ص). جاءت عن فضيلة قراء هذه السورة: ((قال النبي (ص) عن فضيلة هذه السورة: من قرأها في طلوع يوم الجمعة، الله سبحانه وتعالى والملائكة يصلون عليه حتى غروب الشمس (زند وكيلي،16:1391). المحتوى الكلي للسورة، توحيد وصفات الله والمعاد وبقية المعارف الاسلامية وجهاد والمناقشة عن بعض القواعد الاسلامية وضرورة الصبر في مواجهة الصعوبات والبلايا الالهية وذكر جزء من تاريخ الانبياء (عليهم السلام). في هذه السورة أشير إلى ولادة عيسى ويحيى (عليهما السلام) (راجع مكارم الشيرازي والزملاء،1388،المجلد الثاني:408). هذه السورة معروفة بأسماء أخرى مثل: ((الزهراء والكنز والمعينة والمجادلة وسورة الاستغفار وطيبة)) (راجع الطبري،1422، المجلد السادس:151؛الفخر الرازي،1371،المجلد السابع:154؛السيوطي،1404،المجلد الثاني:5و4)

الاشكال الاعجازية كثيرة في القرآن الكريم ونشير إلى بعض منها:

1-توسع العبارات والمعاني وقواعد وآرائها2-انطباق آيات القرآن الكريم بمكتشفات الآراء العلمية3-الاخبار عن الاحداث القادمة 4-فصاحة الالفاظ وبلاغة العبارات وقوة تأثيرها (راجع خلاف،1993: 27- 31). ولهذا نتطرق إلى دراسة هذا الاعجاز على أساس نظرية الانزياح في التالي.

2-1-الانزياح الغير اللغوي

2-1-1-المعجزات

وهنا نشير إلى بعض المجزات الالهية التي ذكرت خلال الآية. المعجزات قوة خاصة من جانب الله تبارك وتعالى إلى رسله ليساعد الأنبياء (عليهم السلام) في تنفيذ المهمة الالهية، ضمن عرض القوة الالهية. زكريا (ع) وزوجته كانا في سن الكهولة وكان لا ترجى ولادة طفل منهما في الحالة العادية ولكن الله رزقهما ابنا اسمه يحيى بإذنه. ضمن أن لفظ يحيى دخل اللغة العربية لأول مرة ولهذا أدى القرآن الكريم إلى ازدياد الألفاظ.

«قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ *قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ »(آل‌عمران/ 41 و40).

وهناك آيات أخرى عن معجزة تكلم موسى (ع) في المهد وولادته وعلى الرغم من أنه لم يمسس أحد مريم (س) ووقعت هذه المعجزة بإذن وإرادة الله فقط «وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ*قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »(آل عمران/ 47 و46)

التعبير عن معجزات عيسى (ع) في شفاء المرضى واحياء واماتة الأحياء بإذن الله وأيضا علم عيسى (ع) على ما أكلوا وما ذخروا وكنزوا في بيوتهم من المعجزات المذكورة في السورة « وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ

الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ »(آل عمران/ 49)

2-1-2- البينات (الآيات)

في هذا القسم تطرقنا إلى دراسة آيات تفسر موضوعات ومسائل لم يكونوا يهتمون إليها وفي الحقيقة لم تكن موجودة؛ قبل ظهور دين الاسلام المبين كان الناس يعبدون الله ولكن هذه العبادة مثلت في شكل الاصنام ولكن بظهور دين الاسلام ذكر الله بصفات وحيدة ودخلت ألفاظ لم تكن موجودة من قبل مثل القيامة والجنة والجحيم و... ونرى عددا منها في سورة آل عمران.

2-1-2-1- العلم الالهي

علم الله علم لا يتناهي ويؤكد القرآن الكريم بأنه على وعي على ما في أذهان وقلوب الناس وأشير إلى هذا الموضوع في سورة آل عمران مرات؛ في الآية التالية يؤكد الله بأن علمه يحيط على ما في السموات وما في الارض « إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ »(آل عمران/ 5).

في آية 29 أيضا أكد الله تبارك وتعالى على هذا الموضوع ثانية « قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(آل عمران/ 29).

2-1-2-2- وصف الجنة

الجنة والجهنم دخلا في حقل الألفاظ بنزول دين الاسلام وكانا دافعين لهم ليحصلوا على بغيتهم بفعل الخيرات. وبالنظر إلى الجو الحار واليابس لشبه الجزيرة العربية ورغبة الاعراب الوافرة إلى بيئة وخضراء وزوجات متعددة، قد عرف القرآن الكريم معنوياتهم وشخصياتهم ووعد المؤمنين جنات تجري من تحت أشجارها الانهار وفيها أزواج مطهرة؛ وبالطبع جدير بالذكر أن وجود كلمة ((رضوان)) تدل على قوة القرآن في إضافة الالفاظ «قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ»(آل عمران/ 15).

والله تبارك وتعالى تطرق إلى وصف الجنة مرة أخرى ويقول عرضها يعادل عرض السموات والارض «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ»(آل عمران/ 133).

2-1-2-3-وصف القيامة

القيامة أيضا من الألفاظ التي صنعت منذ ظهور الاسلام وإن كان أشير إليها في الاديان الاخرى ولكنها بظهور الاسلام ظهرت بظهور الاسلام بمعناها الحقيقي وقد ذكرت أوصاف كثيرة منها خلال الآيات القرآنية؛ نرى الحديث في سورة آل عمران عن يوم لا شك فيه ويجمع الناس فيه جميعا «رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ»(آل عمران/ 9).

تكرر هذا الموضوع في آية أخرى وقيل سيرى الناس ووفيت كل نفس ما كسبت وهو لا يظلمون «فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ »(آل عمران/ 25).

وأيضا نرى آيات كثيرة أخرى في هذه السورة ولا مجال لذكر جميعها هنا مثل: وعد انتصار المؤمنين على الرغم من قلة عددهم (آية 12) وشهادة أعمال الانسان في حضور الله (آية 30) ووجود الرزق في محراب مريم (س) (آية 37) وحياة عيسى (عليه السلام) (آية 55) والامداد الالهي إلى المؤمنين في يوم بدر (آيات 125و124)

2-2-الانزياح اللغوي

وهنا أشير إلى بعض القواعد البيانية والبديعية في الآيات الروحانية للقرآن الكريم

2-2-1- التشبيه

واحد من الفوائد المهمة هو الوصف والذي يعتبر من أجمل أساليب التعبير عن المعنى. قال السكاكي في تعريف التشبيه ((التشبيه اشتراك بين المشبه والمشبه به من جانب وافتراق من جانب آخر)) (سكاكي، بيتا: 141). ((التشبيه بمعنى المماثلة بين

شيئين أو أكثر يراد اشتراكهما في صفة أو أكثر؛ وذلك بأدوات وفي تحقيق أهداف المتكلم)) »(هاشمي، 1383: 220). الاستاذ جلال الدين الهمايي يرى التشبيه تمثيل شيء إلى شيء في صفة (همايي، 1361: 227). يرى الدكتور وحيديان كاميار الاحاسيس والعاطفة في الاتصال بين أمرين متغيرين عاملا مهما في التشبيهات الجميلة (وحيديان كاميار، 1386: 15). يقول الدكتور بور نامداريان عن التشبيه ((التشبيه قلب صور الخيال؛ لأن جميع الصور ترتبط بالتشبيه بنوع ما وتتبع منه ظاهرا أو باطنا)) (پورنامداريان، 1374: 18). وهكذا عرّفوا التشبيه ((تشبيه شيء إلى شيء في معنى ما وبأدوات معينة والتعبير عن مشاركة شيئين في وصف من الأوصاف بألفاظ معينة)) (رجايي، 1372: 244/ جرجاني، 1374: 50/ تفتازاني، 1389: 187). ويعتقدون بأن أحسن التشبيه هو: ((أن تكون الصفات المشتركة فيه كثيرة إلى حد تتذكر نوعا من الاتحاد)) (شفيعيكدكني، 1370: 56). في الآية التالية يشير الله تبارك وتعالى إلى مصير الذين كذبوا بيات الله بطريقة التمثيل وبهذا الطريق يحذّر الناس من تكذيب آياته «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ *كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ »(آل عمران/ 11 و10).

ونشاهد مرة أخرى بأن الله تبارك وتعالى يستخدم التشبيه لتحذير الناس من التفرقة وايجاد الخلاف «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ »(آل عمران/ 105)

يشبه الله تبارك وتعالى عفو الاشخاص نفاقا وتزويرا إلى مزرعة تهلكها السموم ويرى سبب هذا العمل في ظلمهم أنفسهم «مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»(آل عمران/ 117)

2-2-2-الاستعارة

الاستعارة من أنفع أدوات التصوير لكل شاعر ودون شك بلاغتها أكثر من التشبيه لأن إن ندعي التماثل والتشابه في التشبيه، ولكن التماثل والتشابه يسيطر على الاستعارة. الاستعارة في اللغة أخذت من استعار المال يعني أراد منه أن يستعيره المال (ابن منظور، 1405: 618). وفي الاصطلاح بمعنى استعمال اللفظ في غير معناه الحقيقي بعلاقة مشابهة توجد بين المعنى الحقيقي والمجازي ولكن يجب أن تشمل على القرينة التي تمنع عن إرادة المعنى الحقيقي (تفتازاني، 1389: 221). ((الاستعارة استعمال اللفظ في غير معناه الحقيقي وموضوع له لأجل مناسبة ما وتلك المناسبة تسمى بعلاقة في مصطلح اهل الفن (ثروت،1364: 3). يقول ميرجلال الدين الكزازي عن الاستعارة ((الاستعارة واحدة من الفنون الشاعرية التي يحاول بها الخطيب أن يثبت حديثه في ذهن المخاطب، إذا الاستعارة مجالها أضيق وأخفى وتتسع للقارئ (كزازي، 1381: 94).

والغرض من ((يصوركم)) في الآية التالية هو ((يخلقكم)) وهو من جنس الاستعارة المصرحة التبعية الوفاقية المجردة « هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»(آل عمران/ 6).

والله تبارك وتعالى عندما يتكلم عن مصير الكافرين، يبشّرهم بالعذاب الاليم و((بشّرهم)) هنا بمعنى ((أنذرهم)) وهي من نوع الاستعارة المصرحة التبعية العنادية المجردة «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»(آل عمران/ 21).

وفي آية أخرى يتكلم الله تبارك وتعالى عن ايلاج الليل في النهار والنهار في الليل وفيها يحلّ ((تولج)) محل ((تدخل)) والتي من نوع الاستعارة المصرحة التبعية الوفاقية المجردة «تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ»(آل عمران/ 27) وطبعا يشير الله تعالى إلى إخراج الاحياء من الاموات في هذه الآية ليُفهمنا أن الغرض منه هو حياة الموجودات عليها لأنه عندما أدخلت الحياة في الأرض، خُلقت الموجودات الحية من مواد ميتة (راجع مكارم شيرازي وهمكاران، 1388، ج2: 496- 495). ونشاهد الاستعارة في آيات أخرى مثل آية 71 و77 و181 و183.

2-2-3-الكناية

الكناية علامة من علامات البلاغة ومن اسرار البلاغة أنها تعرض الحقيقة بأشكال متعددة وبالبرهان. ومن أسباب الأخرى لبلاغة الكناية أنها تلبس المعاني لباس الحس والاحساس وايضا من ميزات الكناية أننا نستطيع أن نعبر عن الموضوعات المستترة بالإيماء والاشارة (هاشمي، 1383: 309). ((الكناية في اللغة بمعنى الكلام المستتر وفي الاصطلاح بمعنى كلام له معنيان، المعنى القريب والمعنى البعيد وهذان المعنيان مترابطان معا (ثروت، 1364: 3).

في سورة آل عمران نشاهد ثلاث استعارات: عض الأنامل كناية عن الغضب «هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ »(آل عمران/ 119)؛ في سورة أخرى النوم القصير كناية عن الأمنة « ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ»(آل عمران/ 154) وأيضا في آية 180مابخلو به كناية عن إيتاء الزكاة «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ »(آل عمران/ 180).

2-2-4-المطابقة

المطابقة تعني مجانبة شيئين مخالفين لغويا وفي المصطلح استعمال الألفاظ المخالفة والمتضادة في الشعر أو النثر مثل الجميل والقبيح. المطابقة من الصناعات المعنوية للبديع والتي تؤدي إلى اللذة الذهنية للقارئ عن طريق خلق التداعيات. يساون المطابقة مع مراعات النظير أحيانا لانه هناك علاقة بين الكلمات المتضادة أيضا بما أن فيها تداعى البعض بعضا آخر وقد سموا المطابقة بتضاد التناقض والتقابل والطباق (ميرصادقي،1381: 238).

استعملت في سورة آل عمران عدة تضادات وطباقات والتي تضاعف على جمال الفريد لهذه السورة مضاعفة مثل: « قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(آل عمران/ 26) وفيها أشير إلى القوة الالهية في إعطاء الملك أو العزة أو الإذلال. والآية الأخرى تبيّن أنّ الحسنات والسيئات تجسّد في أشكال وتحضر في القيامة «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ»(آل عمران/ 30). وأيضا نرى تضادات كثيرة خلال آيات 50 و83 و104 و120.

النتيجة

التجاوز عن القاعدة يستعمل في اللغة الأدبية غالبا ولكن نتيجته ليست مقصورة على الأدب بل هي تتصل بجميع العلوم والفنون وجوانب الحياة البشرية اتصالا وثيقا. القرآن الكريم كتاب سماوي ويفوق الكلام البشري ونشاهد فيه أنواع الانزياح في قالب لغوي وغير لغوي. سورة آل عمران من أغنى السور من هذا المنظر. في هذه السورة نشاهد معجزات عن عيسى عليه السلام وولادته العجائبية؛ وأيضا نشاهد الانزياح الغير اللغوي في هذه السورة في قالب المعجزات والآيات والتي عبرت عنها فيما مضى. وفي مجال الانزياح اللغوي شهدنا التشبيهات الجميلة والاستعارات القوية والكنايات اللطيفة وبقية الصناعات الأدبية خلال السورة. ولهذا نستطيع أن نثبت اعجاز وعجائبية هذا الكتاب السماوي ضمن إثبات هذه النظرية عنه.

المصادر والمراجع

1- قرآن كريم.

2- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم(1405)، لسان العرب، قم: نشر ادب الحوزه.

3- احمدي، بابک(1390)، ساختار وتأويل متن، چاپ دوازدهم، تهران: مركز.

4- بن ذريل، عدنان(1998)، النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

5- پورنامداريان، تقي(1374)، سفر در مه(تأملي در شعر احمد شاملو)، تهران: زمستان.

6- پورنامداريان، تقي(1381)، خانه‌ام ابري است، چاپ دوم، تهران: سروش.

7- تفتازاني، سعدالدين(1389)، شرح المختصر، چاپ ششم، قم: انتشارات اسماعيليان.

8- ثروت، منصور(1364)، فرهنگ كنايات، چاپ اول، تهران: چاپخانه سپهر.

9- جرجاني، عبد القاهر(1374)، اسرار البلاغة، ترجمه جليل تجليل، چاپ چهارم، تهران: دانشگاه تهران.

10- خلاف، عبد الوهاب(1993)، علم أصول الفقه، چاپ دوم، الجزائر: الزهراء للنشر والتوزيع.

11- داد، سيما(1383)، فرهنگ اصطلاحات ادبي، تهران: مروارید.

12- راغب، عبد السلام احمد(1387)، كاركرد تصوير هنري در قرآن كريم. ترجمة: حسين سيدي، تهران: سخن.

13- ربابعه، موسي(1995)، الانحراف مصطلحاً نقدياً» مجلة مؤته للبحوث والدراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 10،ش 4.

14- رجايي، محمد خليل(1372)، معالم البلاغة، چاپ سوم، شيراز: دانشگاه شيراز.

15- زندوكيلي، سيدفرخ(1391)، انوار آسماني از فضايل رحماني، چاپ اول، تهران: مؤسسه انتشارات نشر كتاب.

16- سكاكي، ابي يعقوب بن ابي بكر(بي‌تا)، تلخيص المفتاح، قم: بي‌نا.

17- سيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر(1404)، الدرر المنثور في التفسير المأثور، بيروت: دارالحديث.

18- شايگان‌فر، حميد رضا(1380)، نقد ادبي، معرفي مكاتب نقد، تهران: انتشارات دستان.

19- شفيعي كدكني، محمد رضا(1370)، صور خيال در شعر فارسي، چاپ چهارم، تهران: انتشارات آگاه.

20- شميسا، سيروس(1381)، نقد ادبي، تهران: فردوس.

21- صفوي، كوروش(1383)، از زبان شناسي به ادبيات، چاپ سوم، تهران: سوره مهر.

22- طبري، ابو جعفر محمد بن جرير(1422)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، چاپ اول، قاهره: دار هجر.

23- عباسلو، احسان(1391)،« نقد صورتگرايانه»، برگرفته از كتاب ماه ادبيات، شماره 65(پياپي 179).

24- علوي مقدم، مهيار(1377)، نظريه هاي نقد ادبي معاصر، تهران: سمت.

25- فخر رازي، محمد بن عمر(1371)، تفسير كبير مفاتيح الغيب، ترجمه علي اصغر حلبي، تهران: نشر اساطير.

26- فضل، صلاح(1998)، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، چاپ اول، قاهره: دار الشروق.

27- فضيلت، محمود(1390)، اصول وطبقه بندي نقد ادبي، چاپ اول، تهران: انتشارات زوّار.

28- قزويني، جلال الدين(بي‌تا)، الإيضاح في علوم البلاغة، تصحيح جمعي ازاساتيد دانشگاه الأزهر، القاهره: مطبعة السنة المحمدية.

29- كزازي، مير جلال الدين(1381)، زيباشناسي سخن پارسي، چاپ ششم، تهران: نشر مركز.

30- مرتاض، عبد الملک(2005)، التحليل السيميائي للخطاب الشعري« تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الجلبي، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

31- مكارم شيرازي، آيت الله مكارم شيرازي وهمكاران(1388)، تفسير نمونه، چاپ سي وپنجم، تهران: دار الكتب الإسلامية.

32- مكاريک، ايرناريما(1384)، دانشنامه نظريه‌هاي ادبي معاصر، ترجمه مهران مهاجر ومحمد نبوي، چاپ اول، تهران: آگه.
33- مير صادقي (ذو القدر)، ميمنت(1381)، واژنامه‌ي هنر شاعري، چاپ سوم، تهران: نشر كتاب مهناز.
34- هاشمي، سيد احمد(1383)، جواهر البلاغة، چاپ چهارم، قم: نشر قدس رضوي.
35- همايي، جلال الدين(1361)، فنون بلاغت وصناعات ادبي، چاپ پنجم، تهران: انتشارات توس.
36- وحيديان كاميار، تقي(1386)،« تشبيه، ترفند ادبي ناشناخته»، فصل‌نامه‌ي تخصصي ادبيات فارسي دانشگاه آزاد اسلامي واحد مشهد، شماره 13، ص ص 19-7.
37- اليافي، نعيم(1995)، أطياف الوجه الواحد، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.